المُقَاومَةُ وَالثَّورَةُ في شِعْرِ الصَّعالِيكِ

" دِرَاسَةٌ تَحلِيلِيَّةٌ "

إعداد

أ.د / عَطِيَّة مَحمُود حَسَّانِين

أستاذ مساعد بكلية الآداب- جامعة الجوف – السعودية

أستاذ مساعد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات

فرع جامعة الأزهر بكفر الشيخ

١٤٤١هـ = ٢٠٢٠م

ض

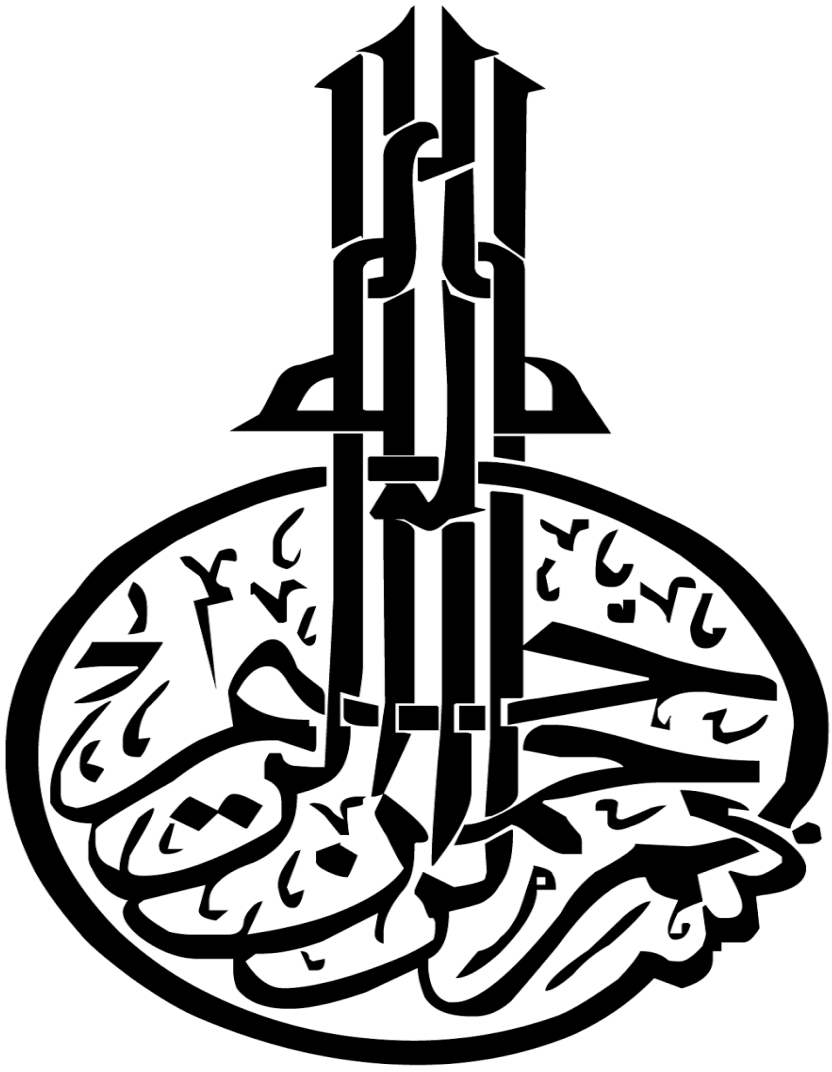

المُقَاومَةُ وَالثَّورَةُ في شِعْرِ الصَّعالِيكِ .." دِرَاسَةٌ تَحلِيْلِيَّةٌ "

عَطِيَّة مَحمُود حَسَّانِين

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات كفر الشيخ – جامعة الأزهر

البريد الإلكتروني: Ammohammad@ju.edu.sa

يعتبر أدب الصعاليك أدبًا عميقًا يحمل الهوية الفردية لطائفة من المجتمع الجاهلي، ينبض برؤية ذات ارتدادات متواصلة في مجتمع يوصف بالجاهلية ، فيقترح المقاومة لتمثيل العالم المتحضر والمجتمع المثالي، فهو يحاول السيطرة علىٰ بعض الصفات والسلوكيات المفقودة عبر مجتمع مندفع نحو السعي إلىٰ معية الحياة، فمثَّل أدبًا أصيلاً لهذه الحالات المتضاربة وكشف عنها، ليعيد بناء مسار الحياة الجاهلية إن أمكن .

تناولت هذه الدراسة بواعث المقاومة والثورة في أشعار الصعاليك، للكشف عن طائفة تموج أنفسُهم بثورة عارمة ضدّ الرأسماليين، وفي الوقت نفسه يمتازون بالبرِّ والإيثار ودفع غوائل الشقاء عن البُؤساء والضعفاء، وعليه جاءت هذه الدراسةُ لتعرضَ الأشعارَ التي تُعبِّر عن هذه الثنائية من حيث المقاومة والواقع الاجتماعي، وعِقْدُ هذه الثنائية ينبني علىٰ عالم الشر الواقعي في البيئة الجاهلية وعالم الخير المأمول في أشعار الصعاليك؛ للبحث عن المساواة والكرامة والإنسانية المفقودة في المجتمع القبلي، فعرضتُ بعض النماذج من تراثنا العربي مما يجعل تأملاتنا للنظرية بحاجة أن تُوضع محلَّ اعتبار، للانتقال من الإيديولوجيا المغلقة إلىٰ اليوتوبيا الحالمة التي تُلهمُ المتأمِّل التطلعَ إلىٰ مستقبل أفضل في الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية .

يهدف هذا البحث إلىٰ التعرف علىٰ بعض الملامح النسبية لهؤلاء الصعاليك، واستظهار أوجه التميز الأخلاقي لديهم، وأن الشعر الجاهلي يحمل من القيم والمثل ما لم يحمله غيره، وأن النظام العام عند طائفة الصعاليك قوامه صراع سلوكي ضد الأغنياء

البخلاء في صورة جيش تحفيزي مهمته إشباع غرائز الفقر والفاقة والمقاومة مع انعدام الأمن المجتمعي؛ من أجل رفع الظلم عن هذه الطائفة التي اتُهِمتْ دائما بالتقصير والتَّعدِّي، وأن هذا النظام السياسي لم يكن ليحيا لولا الشجاعة والمروءة التي تميز بها هؤلاء، بالإضافة إلىٰ إسعاف بعض الأمراء كعروة بن الورد له، ورغم نجاح هذه الحركة إلا أنها لم تجذب أيّـًا من المريدين، فقد أدَّت إلىٰ شعور القارئ بالضيق أحيانـًا؛ لفقدان المنطق والواقعية ووجود الشر في بعض أعمالهم .

ويستنتج من هذا الموضوع أن الثورة ليست بالضرورة أن يكون المقصود منها الهروب من الواقع نحو أفكار مثالية حالمة غير موجودة أو غير واقعية، فهي ليست خيالا جامحا أو فانتازيا غير ملموسة، بل يجب أن تكون بمنتهىٰ الواقعية لتغيير واقع ما تدعو لتحقيقه علىٰ أرض الواقع ، وأن الحراك الذي يحمل الهوية الفردية لطائفة بعينها، ولم ينبض برؤىٰ الشعب، لا يعبر عن القوىٰ النامية في مجتمع ما ، وتوصي هذه الدراسة بالنظر في التراث العربي للعثور علىٰ حركات ثورية أخرىٰ مثل ثورة عنترة من أجل الأخلاق، وثورة زهير من أجل السلام، وثورة امرئ القيس من أجل استرداد ملك أبيه المغتصب،... وغيرهم، وأن يلتفت الباحثون إلىٰ أبعد من ذلك .

- **الكلمات المفتاحية** : المقاومة، الثورة، البواعث، الفقر، الصعاليك ، الرأسماليون.

Resistance and revolution in the hair of Saaliq .. "An analytical study"

Atia Mahmoud Hassanin-

Faculty of Arts, -Jouf University, Saudi Arabia - Assistant Professor, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls, Al-Azhar University, Egypt –

Email: Ammohammad@ju.edu.sa

-Abstract :

The literature of Al-Sa'alik is a deep literature that carries the individual identity of a group of pre-Islamic society, pulsating with a vision with continuous regressions in a society described as ignorance, and it proposes resistance to represent the civilized world and the ideal society, as it tries to control some of the lost traits and behaviors through a society motivated towards the pursuit of life, so it represented literature Authentic and conflicting cases of these conflicting cases, to rebuild the path of pre-life life, if possible.

This study dealt with the causes of resistance and revolution in the poems of the traitors, to reveal a sect that ripples themselves with a massive revolution against the capitalists, and at the same time they are distinguished by righteousness and altruism and the payment of misfortune for the miserable and weak, and therefore this study came to show the poems expressing this duality in terms of resistance and social reality, The contract for this dichotomy is based on the real world of evil in the pre-Islamic environment and the world of goodness hoped for in the poems of the Saaliks, to search for equality, dignity and humanity lost in tribal society, so I presented some

examples of our Arab heritage, which makes our reflections of the theory a need It should be considered, to move from a closed ideology to a dreamy utopia that inspires the contemplative to aspire to a better future in political, social and cultural life.

This research aims to identify some of the relative features of these traits, and to demonstrate the moral distinctions they have, that pre-Islamic poetry carries values and ideals that no others have, and that the public order of the Saalik sect is based on behavioral struggle against the stingy rich in the form of a motivational army whose mission is to satisfy the instincts of poverty Fellowship and resistance with societal insecurity, in order to remove injustice from this sect, which has always been accused of negligence and transgression, and that this political system would not have survived without the courage and defamation that characterized these people, in addition to the relief of some princes such as Aroa bin Al Ward, and despite the success of this movement No, it did not attract any of the murids, as it led the reader to feel the annoyance sometimes, because of the loss of logic, realism and the presence of evil in some of their works.

It is concluded from this topic that the revolution is not necessarily intended to escape from reality towards idealistic dreamy ideas that do not exist or are not realistic, it is not an unreliable imagination or intangible fantasy, but rather it must be very realistic to change the reality of what it calls to achieve on the ground, and that The movement that bears the individual identity of a particular sect, and was not pulsed by the visions of the people, does not reflect the developing forces in a society,

and this study recommends looking at Arab heritage to find other revolutionary movements such as the Antar revolution for morals, the Zuhair revolution for peace, and the one who considers Qais In order to recover the raped king of his father, ... and others , And that researchers turn to further.

keywords: resistance, revolution, motivation, poverty, traders, capitalists.

مُقَدِّمَة :

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَىٰ رَسُولِه الأمِينِ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ

أَهَمِّيَةُ الدِّرَاسَةِ :

ركَّزتْ الدراساتُ الحديثة علىٰ تطبيق كل جديد علىٰ النصوص الحديثة والمعاصرة وانصرفت عن دراستها داخل النصوص القديمة؛ لذا جاءت هذه الدراسةُ لبيانِ إمكانية تطبيقها علىٰ النصوص القديمة، وتوجيهِ أنظار أصحاب الحداثة إلىٰ البحث عن استراتيجيات جديدة وجاذبة لاستطلاع النص القديم، والتنقيبِ والكشفِ عن أصول حداثتهم في موروث الأدب؛ ليظهرَ ما يحملُه الأدبُ العربي القديم من نظريات واتجاهات معاصرة، لردِّ مكايد خصومه الذين اتهموه بالضعف في هذا الجانب، فما قام به الصعاليكُ من تملُّقٍ وصراع وغارة يقودون بها ثورة تجديدية في مجتمعهم، يؤمنون معها بالتفاؤل واستطلاع الأمل، ويصنعون النهوضَ الثوري، ما هو إلا أصلٌ للنظريات التي وُلدت حديثًا فأشعلتْ النضالَ والمقاومة في نفس الشعوب الباحثة عن الحُرية والكرامة.

مُشْكِلَةُ الدِّرَاسَةِ فِي هَذا البَحْث :

تَحَدَّدَتْ مُشْكِلَةُ الدِّرَاسَةِ فِي السُّؤالَينِ التَّالِيَينِ :

- هل يمكن اعتبار الوثائق التاريخية القديمة في الأدب وثائق سياسية ؟.
- هل يمكن أن نعتبر الشعر العربي القديم حقائق اجتماعية عاشها أصحابها ؟.

أَهْدَافُ البَحْثِ :

يهدف البحث إلىٰ التعرف علىٰ بعض الملامح النسبية لهؤلاء الصعاليك، واستظهار أوجه التميز الأخلاقي لديهم، وأن الشعر الجاهلي يحمل من القيم والمثل ما لم يحمله غيره، وأن النظام العام عند طائفة الصعاليك قوامه صراع سلوكي ضد الأغنياء البخلاء في صورة جيش تحفيزي مهمته إشباع غرائز الفقر والفاقة والمقاومة مع انعدام الأمن المجتمعي؛ من أجل رفع الظلم عن هذه الطائفة التي اتُهِمتْ دائما بالتقصير والتَّعدِّي، وأن هذا النظام السياسي لم يكن ليحيا لولا الشجاعة والمروءة التي تميز بها هؤلاء، بالإضافة إلىٰ إسعاف بعض الأمراء كعروة بن الورد له، ورغم نجاح هذه الحركة إلا أنها لم تجذب أيّـًا من المريدين، فقد أدَّت إلىٰ شعور القارئ بالضيق أحيانـًا؛ لفقدان المنطق والواقعية ووجود الشر في بعض أعمالهم، وهذا يؤكد دور الشعر في الاصلاح الاجتماعي والسياسي، ويرىٰ "مور" أن :« السبب في وجود الشر هو سبب اجتماعي، والسبب الأساسي المحدد لكل ذلك هو الملكية الخاصة» (١)،

حُدُوْدُ البَحْثِ :

يقوم البحث علىٰ تحليل النصوص التي تحمل معاني النضال والمقاومة والثورة في شعر الصعاليك، والبواعث التي دفعتهم إلىٰ ذلك، وبيان المعاداة التي نشأت في صورة مضادة بسبب الأدوات المستخدمة من قتل ونهب وإرهاب وغارة أضعفت قدرتهم علىٰ التلاحم المجتمعي؛ لأنها كانت قاصرة عن مخطط ذي فجاج في التكوين، وباتت الظاهرة في نظر الصعاليك مزاولة طائفية تعجز عن

(١) شوارتز، يوتوبيا ٩/ ١١، (ص٦٨).

تحقيق ثورة كاملة، فتصارعت القيم والمعايير تتأرجح بين الرجاء والخوف واليأس والأمل، مما يعانيه الجاهلي من أزمات نفسية وسيولوجيا حقيقية دون أساطير أو ثقافة خارجية غير مهضومة .

مَنْهَجِيَّةُ البَحْث :

ينتمي البحثُ إلىٰ حَقل الدراسة التحليلية مُنطلقاً مِن حُدود النَّص، مُتَتبِّعاً ورَاصِداً؛ للإسهام في الكشف عن هذه الظاهرة، وتسليط الضوء علىٰ أحد الجوانب الكامنة في أدبنا العربي القديم، مُعتمداً المنهجين التاريخي والفني لملاءمتهما لطبيعة موضوع الدراسة .

الدِّرَاسَاتُ السَّابِقَةُ :

لم أجد – بعد الاطلاع والبحث – من تناول هذه الظاهرة في شعر الصعاليك خاصة أو الشعر القديم عامة، والله أعلىٰ وأعلم .

خُطَّةُ البَحْث :

وللوقوف علىٰ حقيقة هذه الظاهرة أو لتجلية هذا الاتجاه الفني، احتوىٰ هذا العمل علىٰ مبحثين، تسبقهما مقدمة وتلحق بهما خاتمة جاءت علىٰ هذا النحو: ففي المقدمة بينت دوافع الوقوف أمام هذه الظاهرة، وهدفي من الإسهام في الكشف عنها، وفي المبحث الأول: مفاهيم ومضامين (المقاومة، والثورة، والصعلكة)، وفي المبحث الثاني : المقاومة والثورة في شعر الصعاليك، وفي الخاتمة: أشرت إلىٰ النتائج التي توصلت إليها، وإلىٰ التوصيات التي يجب أخذها في الاعتبار، والله تعالىٰ أسأل أن أكون قد وفقت فيما عرضت، فهو حسبي ونعم الوكيل .

المَبْحَثُ الأوَّلُ

مَفَاهِيْمُ وَمَضَامِيْنُ

(مقاومة – ثورة – صعاليك)

إن مفهوم المقاومة أو الثورة أضحىٰ مألوفـًا في هذا العصر، وإن كنا لا نعرف المعنىٰ الدقيق للمصطلح قديما، فلقد ترادفت في استخدمه الكلماتُ لوصف كل ما هو ممكن، ظهر هذان المصطلحان وازدهرا في العصر الحديث؛ ليعبرا عن منظومة أو حركة اجتماعية جديدة للبحث عن حياة مثالية فاضلة، ويظهران مدىٰ التطور الذي خضعت له حياة الشعوب علىٰ مر القرون .

فالمقاومة حقيقة لا يجرؤ علىٰ منازعتها زيف أو باطل، تَمُسُّ أطراف الحياة الإنسانية والكرامة الحقيقية، فهي نقطة ارتكاز تحمل ميزان الأرض حتىٰ لا تُصاب بالدُّوار أو فقدان الوعي .

ويتناول هذا المبحث المفاهيمَ كوسيلة للفكر السياسي والاجتماعي، ووسيلة أدبية من أجل التوصل إلىٰ معنىٰ دقيق لهذه المصطلحات .

١- المِحوَرُ الأوَّلُ : مَفهومُ (المقاومة Resistance)

لقد جاء هذا المصطلح للبحث عن مجتمع عادل يحمل سعادة الإنسان الخالية من النقائض البشرية .

وهي في أصل معناها اللغوي، من(قَامَ، يَقُومُ، قَوْمـًا وقِيَامـًا)، الألفُ فيها مَقلوبةٌ عَن أصلِ الوَاوِ، ومنها (قَاوَمْتُهُ قِوامـًا، أي قُمْتُ مَعَهُ) (١).

(١) الزبيدي ، تاج العروس، (مادة : ق و م) .

وفي معناها الاصطلاحي :" مجابهة القوة بالقوة، والصمود في وجه المهاجم، والاعتراض علىٰ ما يُنافي العدل، ويُخالف الرغبات، ويُهدِّد الحرية "(١).

وهذا يؤكد أن المقاومة تحتاج إلىٰ النضال والقوة والمصابرة، فلقد " تَوَلَّدَ الوعيُ إلىٰ الحرية بالرغم من يقين العقل بأنه لا حل لمشكلة الحرية علىٰ صعيد التنظيم الاجتماعي السياسي "(٢).

فالمقاومة من الحاجات الأولية التي يبحث عنها الإنسان؛ لأنها تحمل في طياتها معاني الحرية، والشعر يعتبر مَداراً شَرعيـًا وقَلمـًا لا ينكسر تحت الضغط والمواجهة، ومن خلال ذلك تتجسد المقاومة الداعية إلىٰ الحرية التي عبَّر عنها " رينيه شار "حين قال عن الشعراء:" إنهم يمتلكون طريقةً يعبرون بها عن آلامِنَا، ويصوغون ثورتنا ضد القيود، ويوجِّهون أسلحتنا الطائشة، ويقودوننا للأمام"(٣).

وحين قال عن الشعر الذي يَصْدُرُ عن هذه القوىٰ : " الشعر هو كل المياه الصافية التي تتريث أكُفّنا عندما ترىٰ انعكاساتها تقترب من الشواطئ، إنه مستقبل الحياه الداخلية للإنسان الذي يعيد تشكيل صفاته "(٤).

فهؤلاء الشعراء يبحثون في أشعارهم عن الكرامة المفقودة والإنسانية الغائبة، والحلم الضائع، يبحثون عن نزعة التغيير، في معادلة صعبة تجمع بين الجهل

(١) معجم المعاني ، (مادة : قاوم) .

(٢) صفدع، الرسالة بين الأيديولوجيا واليوتوبيا،(ص ١١).

3) Rene char .ELage du serpent .Cite par . G.jean.(P 148).
4) Rene char .ELage du serpent .Cite par . G.jean.(P 148).

بثقافة هذه النزعة، والخنوع والاستسلام الذي سيطر علىٰ القبلية، والعصبية التي امتلكت زمام البيئة الجاهلية .

٢- المِحوَرُ الثَّانِي: مَفهُومُ (الثورة Revolution)

الثورة رمز الضمير الإنساني والقانون الأخلاقي والعدل الإلهي، ليكتشف الإنسانُ فيها أنه إنسان، وأن هناك فرق بينه وبين غيره من مخلوقات الله تعالىٰ التي لا تتنازع علىٰ البقاء أو إثبات الذات، وهذا أحد الأسرار الحضارية التي أراد غرسها الصعاليك في نفوس العرب .

ثَارَ: أصلُها ثَوَرَ، فالألف منقلبةٌ عن وَاوٍ، والثورة، مؤنث جمعُها : ثَوْرَات وثَوَرَات، وَ(الثَّوْرُ: الهيجان)، يقال: ثار ثائرُه، إذا هاج غضبُه، وَ(الثَّوْرُ: الوثب)، يقال: ثار به الناس، أي وثبوا عليه، وَ(الثَّوْرُ: السطوع) وَ(الثَّوْرُ: ظهور الدَّم)، ويقال:(أرض مُثْوَرَةٌ : كثيرة الثور)، وَ(الثَّوْرُ: المجنون، وقيل: الجنون)، وَ(الثَّوْرُ: الأحمق)، و(الثائر : الغضبان)[١]، وغيرها من المعاني التي تدل في أصل وضعها الاشتقاقي علىٰ وسيلة المصطلح المعروفة لدينا في العصر الحديث، دون التعرض للغاية، وهي التغيير السياسي والاجتماعي .

فالثورة : اندفاع عنيف إلىٰ تغيير الأوضاع السياسية والاجتماعية تغييرا أساسيا يقوم به الشعب في دولة ما[٢] .

---

(١) الزبيدي، معجم تاج العروس،(مادة : ث و ر) .

(٢) معجم المعاني ،(مادة : ث و ر) .

فثورة الصعاليك دامت فوق هامات الحقب والعصور، كنقطة انطلاق أولية لها ما لها، وعليها ما عليها، تُعلِّم الثُّوَّار البداية، وكيفية التخلص من المِحَنِ، وإن حملت في طياتها صُوراً إيجابية وأخرىٰ سَلبية – كما سنذكر – .

يقول " روجيه غارودي :" الثورة، أية ثورة تحتاج إلىٰ السُّمُو أكثر من حاجتها إلىٰ الحَتمِيَّةِ "[1].

ولكن اندفع الصعاليك إلىٰ تنفيذ خطتهم دون دراسة لمنهاجيتها، فلم ينظموا جهودهم للخلاص من الأقطاعيين أو الرأسماليين البخلاء بل ركَّزوا علىٰ المحاربة والمقاتلة، مما جعلهم لقمة سائغة للمكايد .

٣- المِحورُ الثَّالث: مَفهُومُ (الصَّعْلَكَةُ Misery)

الصعلوك في اللغة : الفقير الذي لا يملك من المال ما يعينه علىٰ أعباء الحياة [2].

والصعاليك : طائفة من شعراء العصر الجاهلي، علت في أشعارهم صيحات الفقر والجوع، وتموج أنفسهم بثورة عارمة علىٰ الأغنياء والأشحاء، ويمتازون بالشجاعة والصبر عند البأس وشدة المراس والمضاء والعَدْو[3].

خرج شعر الصعاليك يعبر عن نفوسهم من خلال شكل خاص من أشكال التعبير الأدبي، فالصعاليك طائفة ذات حراك ثوري، تحامل عليها المؤرخون إما لغرض في نفوسهم، وإما لأسباب تجهلُ حقيقتَهم، فمن المؤكد أن تطهير البيئة الجاهلية من براثن الرأسماليين أو من طوائف الأقطاعيين البخلاء الذين

(١) حمادة، الوجه الآخر للثورات العربية، (ص ٧).

(٢) ضيف، العصر الجاهلي، (ص ٣٧٥).

(٣) السابق، نفسه.

يمتلكون الأموال دون النظر إلىٰ المجتمع القبلي نظرة شمولية لتغطية الحاجات والمعطيات والفروق الفردية فيما بينهم، كان أمراً ليس من السهل واقعيتُه .

فالمقاومة والثورة – من وجهة نظري – من أكبر مفاهيم الوطنية علىٰ مر العصور، ولكن ليس من المنصف أن نحاسب الصعاليك علىٰ كل مقاييس الوطنية واتجاهاتها الحديثة، فوطنيتهم كانت تتمثل في سيادة القبيلة، والعصبية، والعنصرية ....الخ

يقول محمد حسين : فكل ذلك يوحي بأن وطنية هذه الفترة لم تكن كوطنية اليوم، وأن قيمهم لم تكن كقيمنا، وأن تفكيرهم لم يكن كتفكيرنا، فالذين يدرسون أدب الجاهلية لا ينصفون إذا وزنوه بموازين اليوم، والذين يدرسون شعراء ما قبل الإسلام يظلمون إذا وزنوا بموازين اليوم(١).

فما قام به الصعاليك ليست صورة من صور الوطنية الحديثة، وإنما هو احتجاج واعتراض علىٰ تصرفات طائفة معينة، للدفاع عن الفقراء، ومقاتلة الرأسماليين البخلاء، ومجابهة قوافلهم، دون استسلام أو اندحار أو تقاعس أو خذلان، لذا تتصف أشعار الصعاليك بصفتين أساسيتين:

- ❖ أنها تعبر عن حالة اجتماعية سائدة في الأوساط القبلية .
- ❖ أنها تظهر عيوب الرأسماليين وأصحاب الأموال، وتندد بهم .

(١) حسين، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، (ج١/ ٧).

وظل هذا اللون من الشعر يواصل مسيرته، فراحوا يتفنَّنون في القضاء علىٰ الاستعمار النفسي والتنكيل والاستعباد، يتوِّجون آلام الفقراء لإشعال هذه الثورة، جاعلون أشعارهم وسيلة للتعبير عن ذلك .

والشخصية الثورية لابد أن تُعرف بسمات تتميز بها عن غيرها، سمات عقلية وأخلاقية ونفسية، مثل : الشجاعة، والقوة، والتعصب، والتسامح، والتطرف ... وغيرها من الطباع والسلوكيات التي شكَّلت شخصياتهم دون أفراد قبيلتهم .

ولقد سبقت حركة الصعاليك الثورية حركات أخرىٰ، منها حركة امرئ القيس، فلقد قُتِلَ أبوه (الأمير / حُجر بن الحارث)أحد أمراء إمارة كِندة التي تسكن شمال الجزيرة العربية آنذاك، في حركة اضطهاد أيام كسرىٰ أنو شروان، قتله بنو أسد(١).

والأخبار كثيرة ومتفرقة في محاولة امرئ القيس استرداد ملك أبيه، وتكوين دولة تحمل اسم كِندة، فإن «بعض المصادر التاريخية اليونانية ذكرت في صراحة اسم شخص يُدعىٰ امرأ القيس كان من العرب التابعين لملوك الفرس، وقد جعل يغير علىٰ القبائل في شمال الحجاز، ويبسط سلطانه عليها، وقد استطاع أن يستولي علىٰ جزيرة (يوتوبة Iotabe)، ويطرد منها عمال المكوس من الروم، وعاد فرأىٰ أن يصانع الروم، مخافة غزوهم له، فأرسل إلىٰ بيزنطة أسقف العرب الذين خضعوا لحُكمه (سنة ٤٧٣ م)، ليفاوض قيصر في أن يعينه حاكمًا علىٰ جنوب الأردن وساحل خليج العقبة، ويمنحه لقب فيلارك، ونجح الأسقف في

(١) الأصفهاني، الأغاني،(ج ٩/ ٨٢).

سفارته، ودعا القيصرُ امرأ القيس لزيارة عاصمته، وبالغ في إكرامه، وعاد إلىٰ بلاده » [1].

يقول دكتور/ مطاع صفدع : « إن الانخراط في عملية تغيير نوعي تستجيب للمشروع الثقافي العربي الذي كانت تستشفه بعض العقول النيرة من رواد التغيير الكبير في مجتمع الصحراء الأكبر، من أمثال الأحناف، وبعض الشعراء الروَّاد من الفرسان كامرئ القيس، ومن الحكماء كزهير بن أبي سلمىٰ....فامرؤ القيس كان يتطلع إلىٰ بناء الدولة من مجتمع الفرسان بأخلاقهم وقانونهم »[2] .

يعدُّ تمرَّدُ امرئ القيس علىٰ وضعه الراهن، ودعوتُه إلىٰ الحشود من أجل التغيير والتحول لاسترداد ملكه الزائل، وبسطُ سلطانه علىٰ بعض القبائل، وانقسامُه عن ملك الروم... أولَ حركات التغيير التي ظهرت علىٰ أيدي أشعر شعراء العرب وحامل لوائهم .

وهذا يؤكد أن أشعار الصعاليك كانت صورة للسياسة المستخدمة والوضع الاجتماعي القائم، دعوة منها للتغيير أو التحوُّل، أو تقديم نقد أو حلول لبناء مجتمع مُتوهِّج وعالم مستنير يزخر بالقيم والمثل والفضائل لا نقول الخيالية ولكن القيم المنشودة التي يمكن تحقيقها ولو بقدر قليل أو إلىٰ حد مقبول ..

(١) ضيف، العصر الجاهلي،(ص ٢٤١-٢٤٢).

(٢) صفدع، الرسالة بين الإيديولوجيا واليوتوبيا، (ص ٧) .

المَبْحَثُ الثَّانِي

المُقَاوَمَةُ والثَّورَةُ فِي شِعْرِ الصَّعالِيكِ

عاش الصعاليك واقعاً مؤلماً، وظل ما فرضوه قائماً حقبة من الزمن كعمل سياسي مُوقَد، يحشدون من الدلالات ما يؤهل للخروج والانتماء لهم طوعًا أو كرهًا، وتبنُّوا القوة والغزو من أجل تحقيق أهدافهم المتمثلة في مساعدة الفقراء أمثالهم، أو الانتقام من أصحاب السلطة الذين يعيشون علىٰ الظلم والقهر والاستبداد للفقراء الضعفاء، للبحث عن (المدينة الفاضلة)، فكانت الثنائية المتضادة .

وهذا يرجع إلىٰ ما فعلته الطَّبَقِية في العصر الجاهلي، التي سعت إلىٰ إغلاق آمال البشر وجعلتهم رهائن لفكر سبَّبَ فوضىٰ اجتماعية وحروباً بين القبائل، بيد أن هذا الفكر الطَّبقي كاد أن يَتبدَّد عندما فتح الشعراء الصعاليك الآفاق من خلال بث دوافع طوباوية تحث الناس علىٰ رفض تلك الأفكار والممارسات العنصرية، وكان ذلك من أهم دوافع الخروج علىٰ القبيلة، ورفض الظلم الاجتماعي الذي يقع علىٰ أفراد القبيلة إلا أن هذه الثورة لم يكتب لها البقاءُ وكسبُ المريدين .

فأدب الصعاليك يعتبر أدباً عميقاً يحمل الهوية الفردية لطائفة من المجتمع الجاهلي، ينبض برؤية ذات ارتدادات متواصلة في مجتمع يوصف بالجاهلية، فيقترح المقاومة لتمثيل العالم المتحضر والمجتمع المثالي، فهو

يحاول السيطرة علىٰ بعض الصفات والسلوكيات المفقودة عبر مجتمع مندفع نحو السعي إلىٰ معية الحياة، فمثَّل أدبـًا أصيلاً لهذه الحالات المتضاربة وكشف عنها، ليعيد بناء مسار الحياة الجاهلية إن أمكن .

إن هذه الحياة الثائرة المتضاربة التي عاشها الشعراء الصعاليك – بين مجتمعهم – لم تمنعهم من التحلي بأفضل القيم الاجتماعية السائدة في المجتمعات الجاهلية، يقول د/ الحوفي : إن في قلوبهم شجاعة، وفي أجسامهم قوة وفتوة، وهم لهذا كله يثورون علىٰ النظام المالي(١).

فمازال هؤلاء الصعاليك يسعون لحياة جديدة في مجتمعهم تؤمن بالمساواة والعدالة وعدم الظلم، وهذا الشعر يعد من بواكير الأدب التقدمي، « وهو الأدب الذي يعبر عن أفكار القوىٰ النامية في مجتمع ما » (٢).

قال السياب:« أما خصائص هذا الأدب فهي التفاؤل والثقة في المستقبل والإيمان بالإنسان واحترامه كفرد وكمجموع، وتفهم حقيقة الروابط التي تربط الأفراد »(٣).

(١) الحوفي، الحياة العربية في الشعر الجاهلي، (ص 323).

(٢) عباس، بدر شاكر السياب دراسة في حياته وشعره، (ص ٢٢٩).

(٣) السابق، (ص ٢٢٩-٢٣٠).

ولعل أصدق مثال: ما في شعر عروة بن الورد من قيم وفضائل تبناها ودعا إليها في شعره مما جعله موضع إعجاب من قِبل الدارسين قديمًا وحديثًا، وهو ما دفع معاوية بن أبي سفيان أن يقول : لو كان لعروة ولد لأحببتُ أن أتزوجَ إليهم(١).

وحمل عبد الملك بن مروان علىٰ أن يقول : ما يسرُّني أن أحدًا من العرب وَلَدَني ممَّن لم يَلِدْني إلا عروة بن الوَرْد، لقوله: (٢).

إِنِّــي أمْــرؤٌ عَــافي إِنَــائِي شِــرْكةٌ وأنْــتَ امْــرؤٌ عَــافي إنائِـكَ وَاحِـدُ

فهو يعبر عن معنىٰ إنساني رفيع، فيقول : إنني يشركني كثيرون من السائلين وذوي الحاجة في إنائي، أما أنت فلا شريك لك .

وإن كان عروة أبا الصعاليك ومقرر مبادئهم، فإن الشنفرىٰ صاحب اللامية التي جاءت حافلة بالقيم الفاضلة، فكان الخلفاء يحرصون علىٰ تعليمها أولادهم.

هذه هي بعض قيم الصعاليك، ولكنهم جميعًا اتفقوا علىٰ هذه القيم وحاولوا أن يظهروا بها، إذ أنهم دائمًا ما يحاولون الظهور بمظهر السيد المفتخر بأفضل القيم والداعي إليها.

يقول عفيف عبد الرحمن : لم تبرز حركة متمردة علىٰ التقاليد كتلك التي برزت وأعني حركة الصعاليك(٣).

---

(١) ابن الورد، الديوان، (ص ٣٨٤).

(٢) ابن الورد، الديوان (ص ٩). ضيف ، العصر الجاهلي، (ص ٣٨٤).

(٣) عبد الرحمن، الأدب الجاهلي في آثار الدارسين قديمًا وحديثًا، (ص ١٩).

ويقول أحمد سويلم: كان شعر الصعاليك أول ثورة واقعية متمردة في الشعر الجاهلي(١).

ثم إن حال هؤلاء الصعاليك الباحثين عن الفضيلة ليزداد سوءًا كلما قارنوا حالهم بحال السَّاسة من أفراد القبيلة المترفين في النعمة والمال يستأثرون بخيرها، ويقصرونه عليهم، ولا يلتفتون إلىٰ غيرهم، ومع ذلك يتمتعون بأنفة وسلطة عارمة تمنعهم من طلب المساواة .

فالصعلوك ليس فقيرًا خامـًا يظهر يائسًا مستسلمًا، بل الفقير المقاوم الذي يكثر الغزو، والشجاع المقتدر علىٰ مواجهة الواقع بقوة، يقول عروة يمدح الصعلوك:(٢).

وَلكنَّ صُعلُوكـًا، صَحِيفةُ وَجهِهِ كَضَوءِ شِهَابِ القَابِسِ المُتنورِ
مُطِـلًّا عَلَـىٰ أعدَائِـه يَزجُرونَـه بِسَاحتِهم، زَجرَ المَنيحِ المُشهرِ

فلم تكن ثورة الصعاليك مجرد نشاط يُفْضِي إلىٰ خيال أو واقع مستحيل، فمن شأنها أن تسبغ مدلولاً يفعل تفاوضـًا بشأن التباين البعيد بين معانىٰ النضال ومعاني الخذلان .

ومن هنا تبدأ عملية البحث والنقاش مدفوعة ببواعث وصياغة تنطوي علىٰ تفعيل ذلك علىٰ أرض الواقع، مستمدة من حقائق مستندة علىٰ حائط بيئتهم وطبيعة مجتمعهم .

---

(١) سويلم، شعرنا القديم رؤية عصرية ، (ص ٢٤).

(٢) ابن الورد، الديوان (ص ٦٩).

- **بَوَاعِثُ المُقَاوَمَةِ والثَّورَةِ عِنْدَ الشُّعَرَاءِ الصَّعَالِيْكِ:**

ولا يغيب أن الصعاليك كانت لديهم دوافع للبحث عن العدالة أو(المجتمع الصالح)، ومحاربةً للمجتمع الفاسد، ويمكننا حصر هذه الدوافع التي أفصحوا عنها في أشعارهم، وبرَّروا بها خروجهم من ربقة القبلية والعصبية، وتمردهم المتكرر علىٰ القبائل والقوافل لدفع غوائل البؤس والشقاء عن الفقراء والضعفاء ... فيما يلي :

أوَّلاً : مُجَابَهَةُ الفَقْرِ:

الفقر هو القاسم المشترك الذي يجمع أفراد القبيلة مع كل الصعاليك، فكل صعلوك فقير، (حتىٰ عروة سيدهم كان فقيرًا) .

« تتردد في أشعارهم جميعـًا صيحات الفقر والجوع، كما تموج أنفسهم بثورة عارمة علىٰ الأغنياء والأشحاء » (١).

فدافع المقاومة والثورة عند الصعاليك هو البحث عن مجتمع صالح خال من الفقر والفاقة، من أجل تحقيق العدالة الاجتماعية، والقضاء علىٰ الجوع والخلة.

ولقد عان الشعراء الصعاليك مما عان منه مجتمعهم، ولقد غلب علىٰ موضوعات شعرهم الحديث عن الفقر، وصبغوه بلون جديد يدعو إلىٰ الخروج والتمرد والدفاع، فلا نكاد نجد شعر أحدهم يخلو من ذكر الفقر والإملاق والعسر وضيق اليد، ومن ذلك قول عروة مخاطبًا زوجته:(٢).

(١) ضيف ، العصر الجاهلي، (ص ٣٧٥).

(٢) ابن الورد، الديوان (ص ٩٧).

ذَرِيني أَطُوفُ فِي البِلادِ لعَلَّنِي أَفِيدُ غِنىً فِيه لذِي الحَقِّ مَحملُ
أَلَيسَ عَظِيمًا أَنْ تَلِمَّ مَلَمَّةٌ وَلَيسَ عَلَينَا فِي الحُقُوقِ معَولُ
فَإن نَحنُ لَمْ نَملُكْ دِفَاعًا بِحَادِثٍ تَلمُ بِهِ الأَيَّامُ، فَالموتُ أَجْمَلُ

فعروة بن الورد يذكر ما يعانيه وأصحابه الفقراء من لدغات الجوع وآلامه في معظم قصائده، ويعلن دعوته لكل الفقراء بالنهوض للثورة وتغيير حياتهم بالقوة، ويرىٰ أنها أفضل طريقة لكسب العيش، وإلا فالموت خير لهم من مَدِّ يَد المساعدة لأصحاب المال والسلطة من الأغنياء، فيقول : (١).

إذا المرءُ لم يَبعثْ سوامًا ولم يُرح عليه، ولم تعطِفْ عليه
فللموتُ خيرٌ للفَتىٰ مِن حَياتِه وَمِن مَولَىٰ تَدُبُّ عقاربُه

وأبو خِراش يعد بالغزو لإطعام أهله، وإلا فعليهم بالإمساك عن الطعام، فيقول: (٢).

فَإنَّ غَدًا إن لا نجِد بعضَ نُفِئْ لَكِ زَادًا أو نُعَدِّكِ بِالأَزْمِ

والسليك بن السلكة يرىٰ أنه يغزو اضطرارًا، فقد جاء في الأغاني أنه أملق حتىٰ لم يبق له شيء، وتذكر له قصة أغار فيها علىٰ حي بني شيبان ومعه رجلان، فبعد أن ظفر بالغنيمة أنشد: (٣).

وَمَا نِلتُها حَتَّىٰ تَصعْلكتُ حقْبَةً وَكِدْتُ لأَسْبَابِ المَنِيَّةِ أُعْرَفُ
وَحَتَّىٰ رَأَيْتُ الجُوعَ بِالصَّيفِ ضَرَّنِي إذَا قُمْتُ تَغْشَانِي ظِلالٌ فَأَسْدُفُ

(١) ابن الورد، الديوان (ص ٤٨).
(٢) الهذليون، ديوان الهذليين، القسم الثاني، (ص 125).
(٣) الأصفهاني، الأغاني، (ج١٨/ ـ182) .

وأبو خراش يرثي أخاه عروة، ويرىٰ أنه مات وهو يحاول دفع فقره وجوعه، فيقول:(١).

ولكنَّــه قَــد نَازعتْــه مَخــامِصٌ علىٰ أَنَّـه ذُو مِـرَّةٍ صَـادقُ الـنَّهضِ

ويركز الصعلوك في شعره علىٰ نقد الرأسمالية التي ظهرت في العصر الجاهلي عند السادة وأصحاب السلطة والسيادة، القائمة علىٰ فقدان الناس لأي دافع يحثهم علىٰ استلهام مجتمع صالح.

وحبيب الأعلم كاد أن يقع في أيدي أعدائه، فيتذكر أهله الفقراء، وعياله الجياع، فتشتد همتُه ويعْدُو حتىٰ يَنْجُوَ بنفسه، فيقول :(٢).

وَخَشَــــيْتُ وَقْــــعَ ضَــــرِيْبَةٍ قَــدْ جَرَّبَــتْ كُــلَّ التَّجــاربِ
فَــــأَكُونُ صَــــيْدَهُمُ بِهَــــا وَأَصِــــيْرُ لِلضَّــــبعِ السَّــــواغِبِ
ورَفَعْــــتُ عَيْنــــي بالحِجــــا زِ إلــــىٰ أُنــــاسٍ بالمَنَاقــــبِ
وَذَكَــــرْتُ أَهْلــــي بــــالعَرا ءِ وَحَاجــــةَ الشُّــــعْثِ التَّوالِــــبِ

إن الصعاليك يعدُّون الإغارة والأخذ بالقوة خير لهم من الإحساس بالضعف والحاجة إلىٰ غيرهم.

يقول أحمد سويلم: « وقد اتخذ الصعلوك الإغارة والغزو شعارًا له، غير أن هذا الشعار اتَّخذ وجهين في التطبيق، فمنهم من طبقه بقصد السلب والنهب،

(١) الهذليون، ديوان الهذليين، القسم الثاني، (ص١٥٨).

(٢) الهذليون، ديوان الهذليين، القسم الثاني، (ص٨١).

والصعاليك يشتركون في دوافعهم الفقر والإحساس بالظلم وفقدان المساواة، ويتحدون في نتائج تلك الدوافع وهي دفع الظلم والانتقام من الأثرياء » (١).

ويرىٰ حسين مروة أن الفقر هو أحد عاملين كانا وراء خروج الصعاليك وامتهانهم الغزو حيث يقول: « لم يكن الصعاليك سوىٰ فئة من فقراء القبائل المختلفة عبرت بانسلاخها عن واقعين اثنين لهما دلالة واحدة عبرت أولاً: عن خروجها عن الانتماء الذي يلزمها الالتصاق بحياة القبيلة، والانقياد لأوضاعها وأعرافها القبلية، وعبرت ثانيًا :عن حاجة مادية لم تستطع احتمالها في ظل القبيلة(٢).

إذن لقد كان خروجهم دَفْعًا للفقر أولاً، ثم سخطهم علىٰ الميزان الاقتصادي (الرأسمالية القبلية)، فلقد قنطوا من اكتساب رزقهم، وعطف المجتمع عليهم، فامتهنوا الثورة والغارة بل صاروا يفتخرون بذلك، ويحثون رفقاءهم الفقراء لاتِّباع منهجهم، فكانوا يكثرون من ذكر الفقر والإملاق كلما تحدثوا عن الغزو، وكأنهم يحاولون تبرير ذلك الانفلات الاجتماعي، ويدفعون بحجتهم التي ترىٰ أنه لا بد منه .

تُعد جهود شعراء الصعاليك في البحث عن مجتمع عادل وخروجهم علىٰ قبائلهم، بشائر معبرةً عن تحول تاريخي لم يعتد عليه المجتمع القبلي من قبل، ويدلّ حضور المقاومة عندهم علىٰ عمل أدبي فريد يوحي بتحوُّل في حركة التاريخ سواء إيجابـًا أو سلبـًا.

(١) سويلم، شعرنا القديم رؤية عصرية ،(ص٢١).

(٢) مروة، النزعات المادية في الفلسفة العربية ، (ج ١/ ٢٠٩).

ثَانِيًا :الاحْتِجَاجُ ضِدُّ الرَّأسِمَالِيَّةِ (أَصْحَابِ السِّيَادَةِ).

فما كان الصعاليك ليخرجوا علىٰ مجتمعاتهم ويثوروا عليهم لو أنهم وجدوا فيها ما ينشدونه من تكافل اجتماعي، وعدالة بين أفراد القبيلة، وتزين بالكرم والإيثار، ولكنهم لم يجدوا مبتغاهم فثارت ثورتهم علىٰ قبائلهم، وأخذوا يترصدون للخروج وإعلان التمرد في أطراف البيد، ويعبرون عن غضبهم لسوء أحوال مجتمعهم الاقتصادية والاجتماعية.

وهنا تتجلىٰ صورة الاحتجاج والثورة في دعوتهم للقضاء علىٰ العبودية ودافع الحقد والحسد والصراع النفسي داخل كل فرد بالإضافة إلىٰ ما يحمله المجتمع من طاغوت الرأسماليين وسيطرة المادة .

فلقد عان الفقراء من أصحاب الثراء أيَّة معاناة، فأظهر الصعاليك منطلق سخطهم علىٰ اختلال ميزان العدالة الاجتماعية، وسخطهم علىٰ أصحاب الثراء الذين جعلوا السيادة من أهم صفاتهم الاجتماعية مع الشحِّ والبخل والاستعباد.

فكانت الصعاليك – ولا سيما العبيد منهم والخلعاء – تنظر إلىٰ هوان منزلتها الاجتماعية وتلقي بالمسئولية علىٰ قبائلهم وتحاول النيل والتشفي منها؛ لذا امتهنوا الغارة والانتقام وصاروا يعتدون علىٰ قبائلهم ويتوعدونها، كما يتوعدون غيرها من القبائل، فلا فرق عندهم بين قبيلتهم وقبيلة أخرىٰ طالما أن قصدهم هو الانتقام، فتحوَّلوا إلىٰ وحوش كاسرة ترتاد المراقب وتترصد حركة القبائل والقوافل، وتتحيَّن الفرص للانقضاض عليها.

ولعل الشنفري هو أكثرهم تميزًا في هذا الدافع إذا أقسم أن يقتل من بني سلامان بن مفرج مائة رجل بما استعبدوه، فيقول في ذلك :(١).

جَزَيْنَا سَلَامانَ بْنَ مُفْرِجٍ قَرْضَها بِمَـا قَـدَّمَتْ أيْـدِيهِمُ وأَزَلَّـتِ
شَـفَيْنَا بِعَبْـدِ اللهِ بعْـضَ غَلِيلِنـا وَعَوْفٍ لَدَىٰ المَعْدَي أَوَانَ اسْتَهَلَّتِ

ومنهم عروة بن الورد الذي كان يصبُّ جَمَّ غضبه علىٰ الأغنياء ويدعو صعاليكه لغزوهم، إذ يشترك دافعا التمرد والانتقام من الإقطاعيين البخلاء عند عروة.

ويظهر ذلك في ذمه لسيد بني زيان (شريك)الذي أظهر ضيقه بعروة وأصحابه عندما نزلوا عنده، فقال فيه : (٢)

تَوَلَّىٰ بَنُو زَيَّانَ عَنَّا بِفَضْلِهِمْ، وَوَدَّ شَـرِيكٌ لَـوْ نَسِـيرَ، فَتَبْعُـدُ
لِيَهْنَئ شِرِيكـًا وَطْبُهُ وَلِقاحُهُ وَذُو العُسِّ، بَعْدَ النَّوْمَةِ، المُبَرَّدُ

فعروة يذم هذا الرجل ويظهر حنقه علىٰ بخله وجشعه، حتىٰ أنه يود أن يرحلوا ليهنأ بشراب اللبن من النوق في قدحه الضخم المُبرَّد، فنحسُّ هنا غصةً في حلق الشاعر ونستشف في وصفه نغمة الانتقام من أصحاب الثراء البخلاء .

بلغ عروة أن رجلاً من بني كنانة من أبخل الناس وأكثرهم مالاً، فبثَّ عيونا فأتوه بخبره، فشدَّ علىٰ إبله فاستاقها ثم قسَّمها في قومه من الصعاليك، وقال عند ذلك محدِّداً موقفه من الأثرياء:(٣).

---

(١) الشنفرىٰ، الديوان، (ص ٣٧). انظر: الأصفهاني، (ج١٠/ ١٨٦).

(٢) ابن الورد، الديوان (ص ٦٠).

(٣) ابن الورد، الديوان (ص ٥٧).

مَـا بِـالثَّراءِ يَسُـودُ كُـلُّ مُسَـوَّدٍ، مُثْـرٍ، وَلكِـنْ بِالفِعَـالِ يَسُـودُ

« وبلغ عروة من ذلك أنه كان لا يؤثر نفسه بشيء علىٰ من يرعاهم من صعاليكه، فلهم مثل حظه غزوا معه أو قعد بهم المرض أو الضعف، وهو يضرب بذلك مثلاً رفيعـًا في الرحمة والشفقة والبذل والإيثار»[1].

يقول حسين عطوان :« تأبط شرًا، والشنفري، والسليك، جمع بينهم الجوع والضياع والتشرد والتمرد والثورة علىٰ المجتمع، ومضوا يحققون وجودهم في مجتمع لم يعترف بهم »[2].

ويمكننا أن نضيف إلىٰ هؤلاء أبا خراش، وصخر الغي، وعمرو ذا الكلب من كاهل الذي كان يغزو قبيلة فهمٍ، ويتوعدهم بأنه سيغزوهم وسيؤذيهم ببأسه وبطشه، فيقول: [3].

فَإِمَّـا تَثقَفُـوْنِي فَـاقْتُلُوْنِي وَإِنْ أَثْقَفْ فَسَوْفَ تَرَوْنَ بَالي

فأبرَح غَازيـًا أَهْدِي رَعِيلاً أَوُّمّ سَـوادَ طَـوْدٍ ذِي نِجَـالِ

ولقد تداخلت الدوافع في تكوين شخصيات أولئك الشعراء، وشكلت ثنائية ضدية، فنفوسهم تمور بثورة عارمة ضد الرأسمالية وفي نفس الوقت يمتازون بالبر والإيثار، فلقد نظموا قصائدهم داخل هذا الإطار، ودعموا بها مواقفهم .

مدحهم قدامةُ بنُ جعفر « بما سلكوه من الإقدام والفتك والتشمير والجلد والتيقظ والصبر، مع التخرق والسماحة، وقلة الاكتراث للخطوب الملمَّة » [4].

(١) ضيف، العصر الجاهلي، (ص ٣٨٤).

(٢) عطوان، الشعراء الصعاليك في العصر الأموي، (ص ١٢).

(٣) الهذليون، الديوان ،القسم الثالث، (ص ١١٤).

(٤) قدام، نقد الشعر، (ص ٢٨- ٢٩).

إن ثورة الصعاليك ضد قبائلهم وضد الظلم وغياب العدالة الاجتماعية في المجتمع البشري، وانتشار العبودية، لم يكن عملاً طوباويًا حالمًا بل ممارسة واقعية اعتمدت علىٰ دوافع، ولم تسعَ تلك الثورة إلىٰ رسم مجتمع مثالي بعيد بل صوَّرت العدالة والإيثار والكرامة باعتبارها ممارسات واقعية إلىٰ حد ما .

ثَالِثًا : اعْتِرَاضُ الظُّلْمِ وَالتَّبَرُّمُ مِنْ ظُلْمِ الأَقْرَبِيْنَ :

ظهرت بواعث رفض الظلم الاجتماعي، والتبرم من الواقع في شعر الصعاليك في ممارستهم للخروج علىٰ القبيلة، إن تبني فكرة الرفض والاحتجاج كانت من أهم الدوافع التي يعتمد عليه الشاعر الصعلوك، وكذلك ممارستهم للخروج كممارسة واقعية كانت باعثًا يحث الناس علىٰ البحث عن العدالة والمساواة .

فالشنفرىٰ يستهل لاميتَه بيأسه من بني أُمِّه وأهله، ويُعلن خروجه وتمرده، وعدم رضاه بالضيم والذل، ويقرر الرحيل عن بني جلدته، كما يحث الضعفاء منهم علىٰ الخروج والرحيل إلىٰ مجتمع آخر وبيئة أخرىٰ، فهو لا يتحمل الذل والمهانة، فرحيله إلىٰ مكان بعيد أفضل من احتمال الأذىٰ والمذلة، فبالأرض متسعٌ لصاحب الحاجات والآمال والمخاوف يضرب في أطرافها مبتعدًا عنهم موفور الكرامة سالمًا من الأذىٰ، بل واختار مجتمعًا آخر حراً وبيئةً أخرىٰ خاليةً من الظلم وعدم العدل، فمجتمع الوحوش وبيئة الصحراء هم الأهل الحقيقيون؛

لأنهم يأبون الذل والضيم، ويحفظون السر، ولا يخذل بعضهم بعضاً، موصوفون بالشجاعة والبسالة بل وهو أبسل منهم وأجشع : (١).

١- أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطِيِّكُمْ فَإِنِّي إِلَىٰ قَوْمٍ سِوَاكُمْ لَأَمْيَلُ
٢- فَقَدْ حُمَّتِ الحَاجَاتُ وَاللَّيْلُ مُقْمِرُ وَشُدَّتْ لِطِيَّاتٍ مَطَايَا وَأَرْحُلُ
٣- وَفِي الأَرْضِ مَنْأَىً لِلكَرِيمِ عَنِ الأَذَىٰ وفِيهَا لِمَنْ خَافَ القِلَىٰ مُتَعَزَّلُ
٤- لَعَمْرُكُ مَا بِالأرضِ ضِيقٌ عَلَىٰ امْرِئٍ سَرَىٰ رَاغِبًا أَوْ رَاهِبًا وَهوَ يَعْقِلُ
٥- وَلِي دُونَكُمْ أَهْلُونَ: سَيِّدٌ عَمَلَّسٌ وَأَرْقَطُ زُهْلُولٌ وَعَرْفَاءُ جَيْئَلُ
٦- هُمُ الأَهْلُ لا مُستَودَعُ السِّرِّ ذَائِعٌ لَدَيهِمْ وَلا الجَانِي بِمَا جَرَّ يُخْذَلُ
٧- وَكُلُّ أَبِيٍّ بَاسِلٌ غَيْرَ أَنَّنِي إِذَا عَرَضَتْ أُوْلَى الطَّرَائِدِ أَبْسَلُ

ويُعلن عروة هو الآخر خروجه وتمرده علىٰ القبيلة، فالفجاج واسعة، مُنكراً علىٰ الأهل والقبيلة فعالهم، فيقول:(٢).

وَسَائِلَةٍ أَيْنَ الرَّحِيلُ ؟ وَسَائِلٍ، ومَنْ يَسأَلُ الصُّعلُوكَ : أَيْنَ مَذاهِبُه
مَذاهِبُهُ أَنَّ الفِجَاجَ عَرِيضَةٌ إِذَا ضَنَّ عَنْهُ، بِالفِعَالِ أَقَارِبُه

إن رفض الصعاليك للظلم والتبرم من الأقارب، جعل أعمالهم الشعرية تحمل طاقة إيجابية تفتح ما أغلقته الإيديولوجيا، فالظلم الاجتماعي والتفرقة بين أفراد القبيلة ممارسةٌ إيديولوجية تسعىٰ إلىٰ إغلاق المجتمع، ولكن خروج الصعاليك علىٰ قبائلهم وحثهم علىٰ تلك الممارسة في شعرهم يعطي نصوصَهم

(١) الشنفرىٰ، الديوان، (ص ٥٨-٥٩).

(٢) ابن الورد ، الديوان، (ص ٤٨).

الإبداعيةَ طاقةً إيجابية تكافح الطاقة السلبية الإيديولوجية التي تتحكم في المجتمع.

رَابِعًا : الإيْثَارُ وَالكَرَامَةُ .

حينما ننظر إلىٰ مطالب الصعاليك باعتبارها دوافع نحو مجتمع طوباوي يحقق شروط الحياة العادلة، تلك العدالة التي حاول الصعاليك إيجاد بواعثها في حركة التاريخ العربي من المجتمع الجاهلي التي تحكَّمت فيه إيديولوجيا العنصرية والتخلف الاجتماعي والظلم ... للبحث عن مجتمعٍ ينفتح فيه ذلك الانغلاق الإيديولوجي لتبرز بواعث المجتمع الإنساني، لذلك كان الإيثار من أهم مطالبهم .

وفي شعر الصعاليك ظهر الإيثار كباعث للحصول علىٰ مجتمع عادل، حيث أكد الشعراء علىٰ أهميته في نظمهم، وعمل تصويرهم الشعري للإيثار كدافع للناس نحو العيش في مجتمع أفضل، يقول الشَّنفرىٰ : (١).

وإنْ مُدَّتِ الأَيْدِي إِلَىٰ الزَّادِ لَمْ أَكُنْ ... بِأَعْجَلِهِمْ إذْ أَجْشَعُ القَوْم أَعْجَلُ

وَمَـا ذَاكَ إلَّا بَسْـطَةٌ عَـنْ تَفَضُّـلٍ ... عَلَيْهِمْ وَكَانَ الأَفْضَلَ المُتَفَضِّـلُ

وَإِنِّي كَفَانِي فَقْدَ مَنْ لَيْسَ جَازِيًـا ... بِحُسْـنَىٰ وَلا فِـي قُرْبِـهِ مُتَعَلَّـلُ

فالشَّنفرىٰ يحدثنا عن عزة نفسه وتهذيبها وأدبها الذي يسمو بها، وكيف أنه يبتعد عن سؤال الأغنياء، فهو يستف تراب الأرض علىٰ أن يمدَّ أحدٌ إليه يده بفضل أو لقمة يمنّ بها عليه، فيقول :(٢).

(١) الشنفرىٰ، الديوان، (ص ٥٩-٦٠).

(٢) الشنفرىٰ، الديوان، (ص ٦٢).

وَأَسْتَفُّ تُرْبَ الأَرْضِ كَيْلَا يُرَىٰ لَهُ عَلَـيَّ مِـنَ الطَّـوْلِ امْـرُؤٌ مُتَطَـوِّلُ

فالترفع والإيثار والشعور بالكرامة في الحياة من بواعث شعرهم؛ يصوِّر ذلك أبو خِراش الهذلي، فيقول:(١).

وَإِنِّي لأُثْوِي الجُوعَ حَتَّىٰ يَملَّنِي فَيذهَبَ لَمْ يَدْنَسْ ثِيَابِي وَلا جِرْمِي

وَأَغْتَبِـقُ المَـاءَ القَـراحَ فَـأنتَهِي إِذَا الـزَّادُ أَمْسَـىٰ للمُـزَلَّج ذَا طَعْـمِ

أَرُدُّ شُـجَاعَ البَطنِ قَـد تَعلَمِينَـه وَأُوثِرُ غَيـرِي مِـن عِيَالِـكِ بِـالطَّعْمِ

مَخَافَـةَ أَنْ أَحْيَـا بِـرَغْمٍ وَذَلَّـةٍ وَلَلمَوتُ خَيْرٌ مِن حَيَاةٍ عَلَىٰ رَغْـمِ

فأبو خراش يحدث زوجته بكريم خصاله وعفة نفسه، وهو صاحب النفس العفيفة وكيف أنه يصبر علىٰ آلام الجوع حتىٰ يمله الجوع ويذهب عنه ويتركه موفور الكرامة غير شاعر بمذلة، وأنه يؤثر عيالها بالطعام ويكتفي بشرب الماء البارد ، حتىٰ لا يوصم بعار الذل في قومه.

ولا شك أن هذا الشعور – بالكبرياء والعزة – هو مما دفعهم للخروج علىٰ قبائلهم، وحال بينهم وبين التماس العون والمساعدة من الأغنياء، فأخذوا يفتخرون بتعففهم وصبرهم علىٰ الجوع وإيثار غيرهم بالطعام عندما يكونون أحوج الناس إليه، فكأنهم أرادوا أن يوجهوا هذه الأبيات إلىٰ البخلاء من الأغنياء، فيذموهم بشُحِّهم وأنهم أحقُّ بالتعظيم والتبجيل منهم، فالسيادة تتأتىٰ بمكارم الأخلاق بما فيها من قِرىٰ الأضياف والإحسان إلىٰ الجيران وغيرها من

(١) الهذليون، الديوان ، القسم الثاني، (ص ١٢٧–١٢٨).

الخِلال والصفات الحميدة التي تصنع مجتمعاً مثالياً يكون قوامه مكارم الأخلاق، وهي قمة العدالة، ومن ذلك قول عروة أيضاً :(١).

مَـا بِـالثَّراءِ يَسـودُ كُـلُّ مُسَـوَّدٍ، مُثرٍ، وَلكِـنْ بِالفِعَـالِ يَسُـودُ
بِـل لِا أُكـاثِرُ صَـاحِبي فِـي يُسـرِهِ وَأَصُدُّ إِذ فِي عَيشِـه تَصـرِيدُ
فَـإِذَا غَنيـتُ، فَـإِنَّ جَـاري نَيلُـهُ مِن نَائِلِي، ومَيسُرِي مَعهُـودُ
وَإِذَا افْتَقرتُ، فَلن أَرَىٰ مُتخَشّعـاً لأخِي غِنىٰ، مَعرُوفُه مَكدُودُ

وقد اشتهر عروة بن الورد بكرمه وإيثاره غيره علىٰ نفسه، وقد ورد في الأغاني قول عبد الملك بن مروان :" من زعم أنَّ حَاتماً أسمح الناس فقد ظلم عروةَ بنَ الورد "(٢).

فلا شك أن الإيثار والكرامة تؤكد مطالب الصعاليك بحياة اجتماعية يسودها الأخلاق والمكارم، مما يؤكد مستوىٰ بطولي متفرد عند هذه الطائفة، تبدو قيمته في تبرير السلوك الأخلاقي عندهم، ورفضهم للقهر الواقع علىٰ المجتمع، فعروة حين رفض أن يكون الثراء هو أساس السيادة، حاول أن يجعل للسيادة بديلاً آخر يتمثل في الأخلاق، فينل جاره من نيله ولا يرىٰ متخشعاً لغنىٰ بخيل، فالنص يكشف عن الواقع وما فيه من مفارقة، ويكشف عن رفض الشاعر لهذا الواقع ومعاناته منه، ولم يلمس فيه ما يسمىٰ بالتكافل الاجتماعي .

ونجد الكثير من المعاني التي تشير إلىٰ الثقة بالنفس، وقوة الشخصية، ورفض الذل والهوان في شعر عروة:(٣).

(١) ابن الورد، الديوان، (ص٥٧) .
(٢) الأصفهاني، الأغاني، (ج ٣/ ٧٣).
(٣) ابن الورد، الديوان، (ص٥٣) .

إِذَا آذَاكَ مَالـــكٌ، فَامتَهِنـــهُ لجَادِيـه، وإنْ قَـرعَ المـرَاحُ
وإنْ أَخْنَىٰ عَليكَ، فَلمْ تَجدْهُ، فَنَبتُ الأرضِ وَإلمَاءُ القرَاحُ
فَرغمُ العَيشِ إلفُ فَنَاءِ قَومٍ وإن آسَوْكَ، والموتُ الروَّاحُ

أي إذا أراد الإنسان أن ينتصر علىٰ الزمان والمكان فعليه بالصبر والثبات، ورفض كل ما مِن شأنه يستذله، فالطبيعة هي الملاذ الذي يلجأ إليه الإنسان الرافض للذل، وما كل الناس يكتفون بنبت الأرض والماء رفضًا لأي ذل، فالإنسان عليه أن يختار .

ثم أن فقرهم ووضاعة أنسابهم لن يكونا سببًا في هوان منزلتهم الاجتماعية، فكانوا يتعففون من القيام بالأعمال الهامشية التي تُوكل إلىٰ العبيد والموالي، وهذا من مظاهر قوتهم الشخصية وكرامتهم، فالشنفرىٰ يرفض أن يكون راعيًا بإبله في الصحراء فيهلكها علىٰ غير علم:(١).

وَلَسْـــتُ بِمِهْيَـــافٍ يُعَشِّـــي مُجَدَّعَـةً سُـقْبَانُهَا وَهْـيَ بُهَّـلُ

ويرىٰ أنه لا يقل مكانة عن أشراف قومه، طالما أنه يتمتع بهذه النفس الثائرة علىٰ الدونية، الرافضة للهوان، المتوثبة للمعالي.

وتأبط شرًا هو الآخر يأبىٰ أن يكون راعيًا، يصلح المال علىٰ يده، ويأبىٰ أن يؤنف (يورد) إبله المراعي الجديدة ، فيقول : (٢).

وَلَسْـــتُ بِتِرْعِـــيٍّ طَوِيـــلٍ عَشَـــاؤُهُ يُؤَنِّفُهَـــا مُسْـــتَأْنَفَ النَّبْـــتِ، مُبْهِـــلِ

(١) الشنفرىٰ، الديوان، (ص ٦١).

(٢) تأبط شرا ، الديوان ، (ص ١٧٦).

وصخر الغيّ يقرر حريته ويرىٰ أنه رجل يملك عصمة أمره وليس مملوكًا، وأنه لا يقبل ضيمًا يأتي به أحد، فيقول: (١).

فَلَسْتُ عَبْداً لمُوعِدِيّ وَلا أَقبَلُ ضَيْمًا يَأتِي بِه أَحَدُ

ويقول تأبط شرا، مخاطبًا الذئب لما عوىٰ وصاح، إن شأننا قليل، فلا غنىٰ لك عني ولا غنىٰ لي عنك، أنت تطلب منىٰ وأنا أطلب منك : (٢).

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا عَوَىٰ، : إنَّ "ثَابتًا" قَلِيلُ الغِنَىٰ إنْ كُنْتَ لَمَّا تَمَوَّلِ

فهذا البيت يدل علىٰ إحساسه بغيره، وشعوره بالمحتاج ولو كان غير إنسان

ومن هنا نلمس هذا الإيثار مع الاعتزاز بالنفس، إنهم لن ينزلوا عن هذا الإباء ليشبعوا ويعيشوا أذلاء مظلومين، ولن يكونوا تحت رحمة البخلاء من الأغنياء، ويتعرضوا لإهانة المجتمع، وتصغر مكانتهم ما دامت فيهم تلك النفوس الأبية، المشرئبة للمعالي، المتوثبة للمجد.

وفي هذا السياق يؤكد الصعاليك علىٰ أهمية الإيثار في بناء المجتمع البشري دليلاً علىٰ تأثير بواعث المقاومة والثورة في شعرهم التي تكفل حق الفقير قبل الغني، وحق الضعيف قبل القوي.

وعلىٰ المستوىٰ الفني، يمكن اعتبار البناء الشعري عند الشعراء الصعاليك باعثًا طوباويًا يوحي بتوحيد المجتمع وبث روح التكافل الاجتماعي بين

(١) الهذليون، الديوان، القسم الثاني، (ص ٦١).

(٢) تأبط شراً، الديوان، (ص ١٨٣).

أفراده، وكأن الشعراء الصعاليك يقولون :(بالوحدة الاجتماعية يمكن للناس الحصولُ علىٰ مجتمعات مثالية) :

١-فلقد نادىٰ الشعراء الصعاليك في أشعارهم بالوحدة الموضوعية والعضوية، مما يؤكد ثورتهم وخروجهم علىٰ البنية القديمة للقصيدة محاكاة لثورتهم وخروجهم علىٰ مجتمعهم وبيئتهم .

٢-تقتضىٰ وحدة القصيدة عند الصعاليك التماسك والترابط بين أبيات القصيدة كالجسد الواحد، وهي دعوتهم في بناء مجتمع مثالي يتميز بالتماسك والترابط والتحاب؛ فتتحقق المثالية في المجتمع فتكون الوطنية القبلية .

٣-كما يلاحظ في أشعار الصعاليك ولا سيما أشعار الشنفرىٰ وتأبط شرًّا والسليك.. وغيرهم ألفاظًا بعيدة وحوشية غريبة، مما يدل علىٰ غربتهم وإحساسهم بالوحشة والاغتراب في مجتمعهم، وهم يعيشون بين أقاربهم وأفراد بيئتهم .

٤-يغلب علىٰ أشعارهم النتف والمقطَّعات ولا سيما شعر عروة والسليك وصخر الغي وغيرهم، مما يدل علىٰ حياتهم المشتتة بين القبلية تارة وبين البيد والوحوش تارة أخرىٰ .

٥-قلة أشعار المرأة في أشعارهم مما يدل علىٰ كبير انشغالهم بأمر الثورة والخروج علىٰ المجتمع والتمرد علىٰ كافة أفراده ومنهم المرأة، وإن كانت هي مصدر الحب والعاطفة والشعور لبني الإنسان .

كل ذلك التطور يظهر تأثير ذلك البناء الشعري الصعلوكي غير المألوف عند الجاهليين كدلالة توحي بتطور التاريخ في المجتمع الجاهلي .

ومع محاولة الصعاليك وتمردهم علىٰ القبلية إلا أنهم لم ينكروا أموراً كثيرة عاشها المجتمع الجاهلي، مثل شرب الخمر، وقضية الثأر، والمرأة،.....وهذه الأمور وغيرها تتغلغل في عمق حياتهم اليومية وتؤثر فيهم، وهذا يؤكد وجود الاندحار في أشعارهم وحياتهم أيضا بجانب الثورة التي ظهرت في التمرد والخروج علىٰ البخل، والفقر، والقافة ...ووجود كل هذه الأحداث المتعارضة داخل الصعلوك في صراع سلوكي يرتضي بعض الأمور دون غيرها، يؤكد وجود شحنة انفعالية عظيمة تشكل حياتهم وتنمو في جلدتهم الاجتماعية يوما بعد يوم دون غيرهم من أفراد المجتمع الجاهلي .

فإننا لا ننكر أن حركة الصعاليك حركة واقعية أشعلت نيران الثورة في البيئة القبلية، ولكنها كانت مقصورة علىٰ القلة، القلة التي لا تنفصل بالنسبة لأغلب الناس عن اللامقاومة أو معاداة الثورة؛ لأنها مرتدية أقنعة القتل والنهب والسلب التي لا تصلح أن تكون نظاماً للمجتمع، فكان لابد من ظهور نظام شامل متكامل، فكانت البعثة المحمدية .

فالثورة التي جاء بها الصعاليك قد راعت أموراً وتركت أخرىٰ، فكانت إجراءاتهم غير قادرة علىٰ التغيير والتحوُّل تحولاً كاملاً، فمحاولتهم قائمة علىٰ مسار واحد وإن كانت تخدم المجتمع إلا أن أساسها عندهم هو الحقد والكراهية للأغنياء البخلاء لذلك كان مصيرها الزوال؛ لأن كل سياسة تُعلن

الحرب علىٰ فصيل اجتماعي دون تنظيمات اجتماعية أو سياسية تظهر قدرتها علىٰ التغيير، فهي بمثابة خلق إرهاب يُشيع العنف ويولِّد الدمار أحيانـًا، لذا تجد منهم الغارات والقتل والثأر دون تمييز محقق، ولكننا لا ننكر أن حركة الصعاليك كانت النواة الأولىٰ للتغيير الحقيقي القائم علىٰ الثورة والتمرد، ولكنها كانت ثورة، لم تستمر كثيرا، ولم تجلب مريدين، لم توحِّد المجتمع، ففشلت الثورةُ، لأن ممارسات عنصرية، فكان لابد من ظهور عدالة حقيقية، تعارض مفهوم المركزية والسيادة الظالمة، وتطرح مفهوم الثنائية المضادة، يستطيع الفرد والمجتمع أن يعبروا عن شخصياتهم وثقافاتهم دون الخضوع لرقابة ظالمة أو اضطهاد وفق مقاسات خاصة وأغراض سابقة، بل يحكم العالم قانون أخلاقي قائم علىٰ القناعة دون التمايز العنصري فكان الدين الإسلامي وحركته القائمة علىٰ المساواة والإيثار والتوحيد ....الخ.

أما النضال والمقاومة الأقدم عهداً، فإن أبعدها خيالاً، كان ينطوي علىٰ إحساس بإشكالية الطبيعة الإنسانية، تقوم فرضية الخطيئة الأصلية علىٰ واقعة ازدواج الطبيعة الإنسانية، فقدرات صُنع الخير، وابداء الغيرية، وصُنع الشر، واظهار الأنانية والعنف، كلها صفات ترتبط بالإنسان، يقول الله جل في علاه:قال تعالىٰ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾[1]، ومهما تكن التفسيرات التي أعطيت لفرضية الآية، فإن لها معنىٰ أساسيـًا يكمن في انتقال الإنسان بين عالم الصفاء وعالم يشوبه الفساد والانحلال الأخلاقي، وقد نجد

(١) الشمس: [٧، ٨].

الأساس الواقعي الذي تقوم عليه هذه الانتقالة في فرضية الكينونة المزدوجة للطبيعة الإنسانية، أو قد نجدها في استحالة انسجام القيم في هذا العالم الذي يقع تحت دائرة إدراكنا، فبعض القيم أو المثل العليا لا يستطيع إلا أن يتعارض بعضها مع بعضها الآخر، كما أ نَّ فكرة الكُل المتكامل، أو الحل النهائي، أو الجنة التي تتعايش في إطارها كل الأمور الخيرة، هي فكرة غير قابلة للتحقق . وبعض الفضائل الكبرىٰ لا يستطيع أن يتعايش بعضها مع بعض، هذه حقيقة مَفهومية، إن قدرنا أن نختار، وكل اختيار قد تتبعه خسارة لا تُعوض » [1]، فالنفس تحمل من ثنايا الخير والشر معا، بل خيَّرنا الله تعالىٰ بينهما، فالحياة من أجل (طوبىٰ)، وهي الطوباوية التي حلم بها الإنسان حلما واقعيـًا.

فمهما طالت القراءة في بواعث المقاومة والثورة التي تبحث عن حياة كريمة، طاردةً لحياة البؤس والعبوس، تطرح أسئلة عديدة نفسها... **هل هذا في الإمكان ؟!** .. هل هذا يخلق حضارة جديدة يعيشها العالم ؟ ... هل خلقتها البدائيات ؟ .. وهل الترف – الذي يعيشه العالم الآن – معيار للدمار والفناء كما قال ابن خلدون ؟، وهل ترىٰ البشرية تدور حول نفسها، وتعود إلىٰ النقطة التي منها انطلقت مستبدلة العصا والحجارة بالسيف والرمح ثم إلىٰ أدوات الحرب الحديثة ؟، هل ما كان يفعله الصعاليك من قتل وغارة من أجل التغيير صورة تغيَّرت مع تطور العصر إلىٰ أدوات حربية متطورة، تدل علىٰ تطور واقع الإنسان دون حصول أي تطور في طبيعته الإنسانية ؟، هل لو ظهرت طائفة الصعاليك

(١) انظر: العبودي، بين الواقع وحلم سلام المستقبل، (ص ١٣٩).

اليوم هل تكون بديلاً لطوائف في عصرنا الحاضر ؟، ... لذا يمكن إقصاء فكرة أن التطور في معارف الإنسان يعني بالضرورة تطوراً في طبيعته، فلو حصرنا مَنْ قتلهم الصعاليك لم يتجاوز واحداً علىٰ مليون من القتلة في العصور الحديثة، فما دامت نسبة الضحايا أكثر في عصور الحضارة، فإن من المسلم به أن العلاقة بين الطبيعة البشرية والتطور الحضاري ليست متكافئة، بل علاقة أضداد، ... ونعود لنتساءل : هل الثورة والمقاومة الداعية إلىٰ بواعث (اجتماعية، وتربوية، ودينية، وقانونية، وأخلاقية، ونظامية، وسلوكية) ستكون موضع تنفيذ في المجتمعات يوما ما أو ستظل رهينة التصميم والنشأة ؟، هل محاولات الكُّتاب اليوم والنقاد بالأمس، والباحثين عنها في الأشعار قديمـًا وحديثـًا، لها جدوىٰ في إمكانية تحقيقها علىٰ أرض واقعية ... أو ستظل حلما يخالط العقول، وتحاكيه الألسن، وتتناوله الأقلام؟ .

الخَاتِمَةُ

وبَعْدَ هَذِه الإطلَالَةِ السَّريعَةِ عَلَىٰ " المقاومة والثورة عِندَ الصَّعاليكِ" أُجمِلُ النَّتائِجَ وَالتَّوصِيَاتِ الآتِيَة :

أوَّلاً: النَّتَائِجُ

١- تعد الثورة واحدة من الحركات التي هيأتها بواعث كثيرة لكي تكشف عن تجربة واقعية تمس الجانب الإنساني في البيئة الجاهلية وما يقابلها في الحياة المعاصرة .

٢- أكدت الدراسة أن الثورة ليست بالضرورة أن يكون المقصود منها الهروب من الواقع نحو أفكار مثالية حالمة غير موجودة أو غير واقعية، فهي ليست خيالا جامحا أو فانتازيا غير ملموسة، بل يجب أن تكون بمنتهىٰ الواقعية لتغيير واقع ما تدعو لتحقيقه علىٰ أرض الواقع.

٣- أن الحركات الثورية في البيئة الجاهلية كانت جزئية تعالج بعض القضايا كالجوع والفقر والفاقة، وتترك أخرىٰ مثل القتل، والثأر، والغارة والنهب، ومع ذلك كان الشعور بهذه الحركات أقوىٰ ما يمكن في ذلك الوقت؛ لأنها كانت شعاراً لميلاد حياة جديدة وإرهاصات لعهد النبوة.

٤- الصعاليك طائفة تسعىٰ إلىٰ تصوير مدىٰ فظاعة وجود الشر وعواقبه، قاصدةً من وراء ذلك محاربة الاتجاه السلبي، لإظهار مدىٰ قبحه واستنكار النفس البشرية له ونفورها منه، ولكن من خلال ممارسات ممنوعة، وأدوات غير مقبولة إلىٰ حد ما، لذلك ظهرت معاداة الثورة من المجتمع الجاهلي، لتنكر الإفراط في الممارسات الممنوعة.

٥- السبب في عدم نجاح ثورة الصعاليك في سِفرهم ووثيقتهم التاريخية يرجع إلىٰ عاملين، أولهما : استخدام أداوت غير مقبولة من قتل ونهب وقطع طريق وترويع الآمنين . وثانيهما : قيام عملهم علىٰ الفوضوية وعدم قدرتهم علىٰ خلق عمل له نظام سياسي تقبله البيئة والمجتمع .

٦- وكل ذلك يؤكد : أن الحراك الذي يحمل الهوية الفردية لطائفة بعينها، ولم ينبض برؤىٰ الشعب، لا يعبر عن القوىٰ النامية في مجتمع ما .

ثَانِيًا : التَّوصِيَّاتُ

١- إن وجود مثل هذه المراحل والتطورات في أدبنا القديم، يؤكد أن تراثنا العربي ما زال بحاجة ماسة إلىٰ إعادة قراءته واستقصائه .

٢- ومن المأمول العثور علىٰ حركات ثورية أخرىٰ مثل ثورة عنترة من أجل الأخلاق، وثورة زهير من أجل السلام، وثورة امرئ القيس من أجل استرداد ملك أبيه المغتصب،... وغيرهم، وأن يلتفت الباحثون إلىٰ أبعد من ذلك .

٣- البحث والعناية بمثل هذه النظريات التي تؤكد أن جذور النظريات كائن في تراثنا العربي الذي يتسم بخصبه وغناه وامتلاكه القدرة علىٰ رفد واقعنا الأدبي والسياسية والاجتماعي بكل ما هو مفيد ومثير.

المصادر والمراجع

١. الأصفهاني، أبو الفرج، (1929 م)، الأغاني، تحقيق: سمير جابر، ط ٢، بيروت: دار الفكر.

٢. أفلاطون، (٢٠١٠م)، جمهورية أفلاطون (المدينة الفاضلة كما تصوَّرها فيلسوف الفلاسفة)، إعداد: أحمد المنياوي، الطبعة الأولىٰ. دمشق – القاهرة : دار الكتاب العربي.

٣. تأبط شرا، (١٤٠٤ ه)، ديوان تأبط شراً وأخباره، تحقيق: علىٰ ذو الفقار شاكر، ط١، بيروت: دار الغرب الإسلامي.

٤. ابن جعفر، قدامة،(١٣٠٢هـ)، نقد الشعر، ط ١، مطبعة الجوائب – قسطنطينية.

٥. ابن جيالي، محمد أمين،(٢٠١٧م)، الإيديولوجيا واليوتوبيا في فكر مانهايم .. تأصيلات نظرية في الممارسات السياسية ، مجلة الاستغراب – المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، مكتب بيروت لبنان، العدد،٢ (٦)، ٢٣٤-٢٤٨

٦. الحسني، أحمد عبد الرازق ناصر، (٢٠١٥م)، ثنائية اليوتوبيا والديستوبيا في الرواية العراقية، مجلة كلية الآداب جامعة بغداد – العراق،(١١٢) ، ١٣٥-١٥٤.

٧. حسين، محمد محمد،(١٩٩٢م)، الاتجاهات الوطنية الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، ط ٩، السعودية: مكة، دار الرسالة للنشر والتوزيع.

٨. الحفني، عبد المنعم، (٢٠١٠ م)، موسوعة الفلسفة والفلاسفة ، ط ٣، مكتبة مدبولي .

٩. الحوفي، أحمد، (١٩٥٢م)، الحياة العربية في الشعر الجاهلي، القاهرة: مكتبة النهضة.

١٠.الزبيدي ، مرتضي ، معجم تاج العروس من جواهر القاموس.

١١.سويلم، أحمد،(1979م)، شعرنا القديم رؤية عصرية، مصر: المجلس الأعلىٰ للثقافة .

١٢.سيلفانا، رابينوفيتش،(٢٠٠٧ م)، اليوتوبيا بين القراءة والخلاص"، ترجمة: آمال تمام الكيلاني، مجلة ديوجين، مصر، العدد ٢٠٩، ١٤٧-١٥٧.

١٣.الشنفرىٰ، (١٩٩٦م)، ديوان الشنفرىٰ، تحقيق: إميل بديع يعقوب، ط٢، بيروت : دار الكتاب العربي.

١٤.شوارتز، مورجان نيكول،(٢٠٠٧ م)، يوتوبيا ٩/ ١١، التماس العالم الجديد "، ترجمة: سعاد الطويل، مجلة ديوجين، مصر، (٢٠٩)، ٥٩-٨٣.

١٥.صفدع، مطاع ، (١٩٨١م)، الرسالة بين الأيديولوجيا واليوتوبيا ، مجلة الفكر العربي المعاصر، لبنان، (١٤-١٥)، ٤-١٨.

١٦.صليبا، جميل، (١٩٨٢ م)، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية ، لبنان: دار الكتاب .

١٧.ضيف، شوقي، العصر الجاهلي، ط ٣٣، القاهرة : دار المعارف (د.ت).

١٨.عباس، إحسان،(١٩٧٨ م)، بدر شاكر السياب دراسة في حياته وشعره، ط ٤ ، بيروت: دار الثقافة .

١٩.عبد الرحمن، عفيف، (1977 م)، الأدب الجاهلي في آثار الدارسين قديمًا وحديثًا، عمان: دار الفكر .

٢٠.العبودي، عبد الكاظم، (٢٠١١ م)، بين اليوتوبيا والواقع وحلم سلام المستقبل، المجلة العربية لعلم الاجتماعي، لبنان، (١٣)،١٣١-١٤٦.

٢١.عطوان، حسين،(1970 م)، الشعراء الصعاليك في العصر الأموي، القاهرة : دار المعارف .

٢٢.اللامي، عباس جبار، (٢٠٠٣م)، في اليوتوبيا العربية، مجلة الثقافة، الأردن، (٦٠)، ٢١٦-٢١٩.

٢٣.الهذليون، (١٩٩٥م)، ديوان الهذليين، ط٢، القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية .

٢٤.ابن الورد، عروة، (1998 م)، ديوان عروة بن الورد، تحقيق/ أسماء أبو بكر محمد، بيروت : دار الكتب العلمية.

المصادر والمراجع الأجنبية

25. Booker, M. Keith, (2001), Monsters, mushroom clouds, and the Cold War: American science fiction and the roots of postmodernism, 1946-1964", Vol. 95, Greenwood Publishing Group,.

26. LESJEK، KOLAKOWSKI ,(1982) , The Death of utopia Reconsidered Theaner lectures on human values", the Austratian National university . june 22.

27.Rene char .ELage du serpent .Cite par . G.jean.

Sources and references

1) EL-jahily literature in the effects of scholars old and new, Abdul Rahman, Afif, Oman: Dar thought, 1977.

2) EL-aghany, Isfahani, Abu al-Faraj, Dar- of Egyptian Press, 1929. And EL-aghany, realization: Samir Jaber, 2 th Edition,, Beirut: Dar al-Fikr.
3) Bader Shaker Al-Sayyab: A Study in His Life and Poetry, Abbas, Ihsan, 4th Edition, Beirut: : Dar Culture, Lebanon, 1978.
4) The Republic of Plato (the utopia as conceived by the philosopher of the philosophers), Plato, prepared by / Ahmed Meniawi, 1th edition, Damascus - Cairo: Dar al-Kitab al-Arabi, 2010.
5) Arab ELhiat in Pre-Islamic Poetry, Al-Hofi, Ahmed, Cairo: Al-Nahda Library, 1952.
6) Diwan Tabbat Sharran and his news, Tabbat Sharran, achieve: Ali Zulfiqar Shaker, 1 th Edition, (Beirut: Dar al-Gharb al-Islami, 1404 H.
7) Diwan Shanfari, Shanfari, investigation: Emil Badi Yacoub, 2 th Edition, Beirut: Dar al-Kitab al-Arabi, 1417 H- 1996.
8) Diwan of Orwa Ibn Al-Ward, Ibn Al-Ward, Orwa, Investigation / Asmaa Abu Bakr Mohammed, Beirut: Dar al-Kuttab ALelmia, 1998.
9) Diwan of Hathlien, Hathlien, 2 th Edition, Dar al-Kuttab Egyptian, 1995.
10) ELsalik poets in the Umayyad period, Atwan, Hussein, Cairo: Dar Al-Maarif, 1970.
11) Our Old Poetry: A Modern Vision, Swailem, Ahmed, Egypt: The Supreme Council of Culture, 1979.

12) ELasr ELjahily,Diaf , Shawqi, 33 th Edition, Cairo: Dar Al Maaref (d.).
13) The Philosophical Dictionary in Arabic, French, English and Latin, Saliba, Jamil: Lebanon: Dar al-Kitab, 1982.
14) Encyclopedia of Philosophy and Philosophers, Hefni, Abdel Moneim, 3th Edition, Madbouli Library, 2010.
15) Nakd of poetry, Ibn Jaafar, Qudaamah, 1th Edition, printing presses - Constantinople, year 1302 H.
16) Booker, M. Keith:" Monsters, mushroom clouds, and the Cold War: American science fiction and the roots of postmodernism, 1946-1964", Vol. 95, Greenwood Publishing Group, 2001.
17) LESJEK، KOLAKOWSKI :"The Death of utopia Reconsidered Theaner lectures on human values", the Austratian National university . june 22 ، 1982
18) Ideology and Utopia in Mannheim's Thought: Theoretical Rootings in Political Practices, Ibn Giali, Mohammed Amin, Al-Ijtazar Magazine, Islamic Center for Strategic Studies, Beirut Lebanon Office, Issue 6, 2017.
19) Between Utopia and Reality and the Dream of Future Peace, Aboudi, Abdel Kadhim, Arab Journal of Social Science, Lebanon, No. 13, 2011.
20) Duality of utopia and dystopia in the Iraqi novel, Al-Hassani, Ahmed Abdul Razek Nasser, Journal of

the Faculty of Arts, University of Baghdad - Iraq, No. 112, in 2015.

21) In the Arab Utopia, Lami, Jabbar Abbas: Journal of Culture, Jordan, No. 60, 2003.

22) In the Arab utopia, "The message between ideology and utopia", Safad, Muta'a, Journal of Contemporary Arab Thought, Lebanon, Issue 14-15, 1981.

23) Utopia between Reading and Salvation, Silvana, Rabinowitz, Translation: Amal Tamam Al Kilani, Diogenes, Egypt, No. 209, 2007 edition.

24) Utopia 9/11, Seeing the New World, by Schwartz, Morgan Nicole, Translated by Souad El Taweel, Diogenes, Egypt, No. 209, 2007.